الحقول المعجميّة في قصيدة المفتي ابن عمّار في وصف فيلاّ عبد اللّطيف

Lexical fields in the poeme of Mufti Ibn Ammar in description of Abde-Latif villa

شارف محمّد[1]

[1] جامعة أحمد دراية أدرار moh.charef@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2020/11/21 تاريخ القبول: 2020/12/22 تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص:

استطاع المفتي الجزائري ابن عمّار التربّع على عرش الكتابتين النّثريّة والشّعريّة في القرن الثّامن عشر، وهذا ما نلمحه من خلال رحلته ومختاراته الشّعريّة، ومن أشهر قصائده رائيّته في وصف فيلاّ عبد اللّطيف، وهذه الدّراسة تعالج المستوى الدّلاليّ في القصيدة عبر استخراج والحقول الدّلاليّة، انطلاقا من الإشكالية الآتية: ما هي الحقول المعجميّة التي استقى منها ابن عمّار دلالاته في القصيدة؟ ومن خلال القراءة المتأنّية للقصيدة لاحظنا توظيفا لبعض الحقول من ذلك ذكر بعض الأحداث والشّخصيات التّاريخيّة وإسقاطها على أوصاف اللّيلة التي قضاها ابن عمّاررفقة ثلّة من الحكماء والعلماء والأدباء في هذا القصر، كما وظّف الحقلين العسكريّ والسّياسي أثناء مدحه لبعض أفراد عائلة عبد اللّطيف، بالإضافة إلى حقل الأوصاف والألقاب، التي تحفل بها القصيدة المدروسة.

كلمات مفتاحية: الحقول؛ التّاريخيّة؛ السّياسيّة؛ عبد اللّطيف؛ فيلاّ؛

Abstract:

The Algerian Mufti Ibn Ammar was able to sit on the throne of the prose and poetic writing in the eighteenth century, and this is what we observe through his journey and his poetic selections, and among his most famous poems is his opinion in describing the villa of Abd al-Latif, and this study deals with the semantic level in the poem by semantic field.Based on the following problem: What are the lexical fields from which IbnAmmar drew his connotations in the poem? Throughcareful reading of the poem, we noticed theemployment of some fields, including mentioning someevents and historical.

Keywords: fields; historical; political; Abd al-Latif; villa

المؤلف المرسل: شارف محمّد، **الإيميل**: moh.charef@univ-adrar.edu.dz

1. مقدمة:

ارتأينا في هذا البحث دراسة قصيدة من أجود القصائد الجزائريّة في القرن الثّامن عشر وهي ضمن كتاب "مختارات مجهولة من الشعر العربي" للمفتي أحمد ابن عمار الجزائري، والقصيدة المذكورة في وصفيلا أو قصر عبد اللّطيف الموجود بمدينة الجزائر، وهو أحد معالمها الذي ظلّ يحتفظ بدوره الثّقافي إلى الآن، وكانت مناسبة القصيدة، وصف ليلة سمر التقى فيها أرباب القلم واللّسان من العلماء والفقهاء والشّعراء، ولا نبالغ إذا قلنا إنّها القصيدة الوحيدة التي خلّدت المناسبة، فلا ابن علي ذكرها في شعره، ولا ابن ميمون، ولا غيرهما من شعراء الذين يفترض حضورهم كالمانجلّاتي والقوجيليّ، وتتمحور إشكالية البحث حول:

ما هي الصّور الشّعريّة والمعجميّة التي استقى منها ابن عمّار دلالاته في القصيدة؟

للإجابة على ذلك يمكننا صياغة الفرضيّة التّالية:

لاشكّ أنّ ابن عمّار يعرف أفراد عائلة ابن عبد اللّطيف، ممّا ساعده في لورة بعض المعاني والدّلالات التي استمدّها من حافظته الشّعريّة والتّاريخيّة.

استطاع ابن عمّار إضفاء نوع من التّصوير الفنّي ضمن حقول دلاليّة لها علاقة ببيئة العصر في القرن الثّامن عشر في ظلّ الحكم العثماني بالجزائر.

وقد اتّبعنا في عرض الموضوع منهجا تحليليّا يتوخّى معالجة الصّورة الشّعريّة والحقول المعجميّة في رائيّة ابن عمّار بهدف الوصول إلى ذكر حوصلة حول أسلوب ابن عمّار الذي يعتبر من رواد المدرسة الأندلسيّة بالجزائر.

2. ابن عمّار وقصيدته

1.2 ترجمة ابن عمّار: (القاسم، 1998):

هو جامع أشعار هذا المجموع، وهو من الأدباء الجزائريين الذين برعوا في ميدان النثر، ولد حوالي 1119 وعاش إلى ما بعد 1205، وقد تثقف بالجزائر واستمد العلم والجاه من أسرته أيضا، ومن المرجح أن يكون أصله من مستغانم أو تلمسان، ومن عائلة ذات أصل أندلسي، وعلى كل فقد تولى الفتوى على المذهب المالكي عام 1180 وبقي إلى غاية 1184، وقد كان معاصرا للورثيلاني، وأدى معه فريضة الحج

عام 1166، وقد أثنى عليه هذا الأخير بقوله: «الفاضل بالاتفاق والعلّامة على الإطلاق» (الحسين، 1908، صفحة 286)وبعد العودة إلى الجزائر لم يطب له المقام، فارتحل إلى تونس عام 1195، "بقصد الاستيطان بها"، وهناك على ما يبدو قد أجاز تلميذه ابراهيم السيالة، كما أن له تقريظا على رسالة لحمودة بن عبد العزيز التونسي.

يقول أبو راس في وصفه لشيخه ابن عمار: «شيخنا الذي ارتدى بالنزاهة يافعا وكهلا، وكان للتلقيب بـ"شيخ الاسلام " أهلاأمجد النظار، السيد أحمد بن عمار عالم الجزائر، أمنها الله من سوء الدوائر! كان غاية في الحديث والأدب، ينسل إليه من كل حدب ... علا بعلمه واعتز، وماثل في الأدب ابن الخطيب وابن المعتز» (محمد، د.ت، صفحة 48). وقد ترك ابن عمار رحلة سماها "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، لكن لم يصل إلينا منها سوى نبذة وهي المقدمة التي نشرها محمد بن أبي شنب.

2.2 رائية ابن عمّار في وصف فيلا عبد اللطيف

تقع القصيدة المذكورة ضمن القسم الأول، وقد ارتأينا دراستها على حدة لأهمّيّتها التّاريخيّة والأدبيّة، ولفيلّاعبد اللّطيف قصة معروفة لدى سكان مدينة الجزائر، وهو موجود إلى الآن، وقد كان هذا القصر ملهما للعديد من الفنانين والرسامين و«فيلا عبد اللطيف تنسب، كما هو واضح من الاسم، إلى عائلة عبد اللطيف التي اشتهرت في القرن الثامن عشر بالثروة والجاه والسياسة والأدب. وكان من هذه العائلة وزراء وقضاة. وبناء على وصف ابن عمار فإن الفيلا (القصر) كانت غارقة في الاخضرار الزمردي، وكانت آية في الجمال والرونق. وقد استقبلت ضيوفها من الأدباء والسياسيين حيث قضوا سهرة من سهرات القصور البغدادية والأندلسية» (القاسم، 1998، صفحة 384/8)

وهذه القصيدة مؤلفة من ثمانية وثمانين بيتا، وتظهر فيها براعة الوصف لدى الشاعر، حيث تقسم إلى مقدمة يصف فيها المجلس، والغرض المقصود وهو مدح المضيف من عائلة عبد اللطيف، اسمه على ما يبدو من الأبيات هو محمد، بينما في القطعة النثرية أحمد، وعلى العموم فهما أخوان، فقد كان الأول مفتيا والثاني وزيرا أو كاتبا، وليس هذا فحسب، بل إن ابن عمار قدم لوصفه ذاك بقطعة نثرية في حوالي

صفحتين، نذكر منها مقتطفات لكونها من أجمل ما كتب، وهذا الوصف مع القصيدة غير موجودين في الرحلة، يقول ابن عمار: «ولما افتر ثغر الزمان بعد عبوسه باسما، وانشقت من نشر بشره أرائج ونواسماً، وراض السعد منه ما صعب بعد جموحه، واقتاد الجَد من إسعاده ما ند بعد ميله للضد وجنوحه، وكسر الدهر من حدته ولان بعد شدته، استدعانا الوزير الكاتب، المشتمل على بهجة الثريا وظرف الكاتب، الحائز من ذخائر المجد التليد والطريف، المتبختر من رواق العز تحت ظله الوريف، مولانا أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف إلى صنيع ما اصطنعه كسرى أنو شروان، ولا افتخر بمثله سيف بن ذي يزن في رأس غمدان» (أحمد ا.، 2015، الصفحات 62-63)

ثم ينتقل إلى وصف المكان، وهو الفيلا أو القصر الذي اجتمعوا فيه، يقول: «فاحتللنا قصراً، وما أدراك ما قصر، تقابل الواصف أوصافه بالحبس والقصر، وتعبث محاسنه بالزهراء والزاهرة، وتشرف شرفاته على النجوم الزاهرة، وتزهو بدائعه على الزاهي والدمشق، وتلهو مقصوراته بقصور العراق ودمشق، ما شئت من انفساح عرصات، وارتفاع أرائك ومنصات، ودسوت كأنها البدور بهالاتها محفوفة، وزرابي مبثوثة ونمارق مصفوفة، وفرش مرفوعة وأكواب موضوعة، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة» (أحمد ا.، 2015، صفحة 63).

ففي هذا الوصف بعض التشابيه، كالزهراء والزاهرة، وهما من مدن الأندلس أيام عزها فالأولى بناها عبد الرحمن الناصر، أما الثانية فبناها الحاجب المنصور أيام خلافة المستنصر، فالشاعر هنا يشير إلى كون هذا القصر من الاتساع والجمال بحيث يضاهي أو يفوق القصور المذكورة، بما فيها قصور الخلفاء، بدليل ذكره للعراق ودمشق، فالأولى إشارة إلى ما شاده العباسيون، أما الثانية فإشارة إلى قصور الأمويين قبلهم، أما الأوصاف التي جاءت بعد ذلك فهي تأكيد لما ذكره الشاعر، ومن الواضح أنه يستقي بعض العبارات من القرآن الكريم.

وعلى العموم فإن ابن عمار يستمر في وصف تلك الليلة التي قضاها العلماء والسياسيون في القصر المذكور، سنتجاوز بعضها لننتقل إلى آخر فقرة فيها وهي قوله: «فناهيك من ليلة قطعناها بالمسامرة ما أقصرها بعمر وأطولها في الفخر بباع، وناهيك من أنس أدرنا بها كؤوسه مثنى وثلاث ورباع، والسعد خديم،

والسرور نديم. ولما هصرت من الأماني غصونها واقتطفت من ثمارها قطافا، وانتشقت من رياض التهاني نسمات أزهار خمائلها فأمالت مني أعطافاً، واشتملت على لبى من طلاوة شمائلها هاتيك الشمول» (أحمد ا.، 2015، صفحة 64)

بعد هذا الوصف النثري ينتقل الشاعر إلى قصيدته التي يقول فيها: (أحمد ا.، 2015، صفحة 64)

وَلَيْلَةِ أُنْسٍ لَذَّ فِيهَا السَّمَرْ فَنَاهِيكَ مِنْ أُنْسٍ جَنَيْنَاهُ بِالسَّهَرْ

هَصَرْتُ بِهَا غُصْنَ الْمَسَرَّةِ وَالْمُنَى وَجَرَّرْتُ أَذْيَالَ السَّعَادَةِ والظَّفَرْ

وَفُزْتُ بِمَنْ أَهْوَى عَلَى صَوْلَةِ النَّوَى فَنَزَّهْتُ فِيهِ الْقَلْبَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرْ

وَبِتُّ وَلِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ تَضَاؤُلٌ أُغَازِلُ مِنْهُ الْخَفْقَ وَالْغُصْنَ وَالْقَمَرْ

فَلَا غُصْنَ إِلَّا مِنْ رَشِيقِ قِوَامِهِ وَلَا بَدْرَ إِلَّا مِنْ أَزِرَّتِهِ ظَهَرْ

وتبدو لغة القصيدة قوية معبرة، فيها العديد من التشبيهات التي ألفها الأندلسيون في أشعارهم، وهو في ذلك متأثر بهم بل من مدرستهم، كما يذكرنا بالمقدمات التي كان العرب القدامى يستهلون بها قصائدهم، بالشوق والحنين إلى كل ما يمت إلى الماضي بصلة، والفرق فقط في أن ابن عمار يصف ما رآه في ليلته تلك، فها هو يقول: (أحمد ا.، 2015، صفحة 64)

فَيَا لَيْلَةَ الْأَفْرَاحِ وَالْأُنْسِ طَوِّلِي قَلِيلًا وَيَا لَيْلَ الْمَسَرَّةِ فَاعْتَكِرْ

وَيَا صُبْحُ لَا تُسْفِرْ عَلَيْنَا فَإِنَّنَا غَنَيْنَا بِأَسْفَارِ الْغَلَائِلِ وَالْغُرَرْ

إِلَى اللهِ أَشْكُو مَا جَنَتْ لَيْلَةُ اللِّقَا عَلَى قَلْبِيَ الْمَشْغُوفِ مِنْ شِدَّةِ الْقِصَرْ

وكما ذكرنا فإن الشاعر يتخلص بعد هذا الوصف إلى مدح صاحب الدعوة، وآل عبد اللطيف على حفاوة الاستقبال، وكرم الأخلاق، وما إلى ذلك من مستلزمات المدح: (أحمد ا.، 2015، صفحة 66)

كَمَا بَهَرَتْ آدَابُ بَارِعِ عَصْرِنَا وَأَبْلَغُ مَنْ حَاكَ الْقَرِيضَ وَمَنْ نَثَرْ

مُحَمَّدُنَا رَاوِي حَدِيثِ مُحَمَّدٍ وَنَاظِمُ ذَاكَ الْعِقْدِ مِنْ بَعْدِ مَا انْتَثَرْ

مُجَدِّدُ دِينِ اللهِ بَعْدَ عَفَائِهِ وَنَاشِرُ رَسْمِ الْحَقِّ مِنْ بَعْدِ مَا دثْرْ

3. الحقول الدّلاليّة في القصيدة

الحقول الدّلاليّة أو المعجميّة هي مجالات أو عائلات، تضمّ كلّ منها طائفة من الألفاظ أو المفردات التي تستعمل عادة ضمن سياق واحد، وقد عرف العرب هذا النّوع من الحقول، وإن لم يطلقوا عليه مصطلح الحقل، وألّفوا في ذلك كتباً ورسائل متخصّصة، ومن أمثلة ذلك رسائل الأصمعيّ (ت: 216هـ) كالشّاء والفرق والخيل والوحوش وغيرها، يضاف إلى ذلك رسالة الخيل لأبي عبيدة (ت: 210هـ)، والمطر واللّبأ لأبي زيد الأنصاريّ (ت: 215هـ)، والكرم لأبي حاتم السّجستانيّ (ت: 250هـ)، يضاف إلى ذلك معاجم الموضوعات مثل الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ت: 224هـ)، وفقه اللغة وسرّ العربيّة لأبي منصور الثّعالبيّ (ت: 429هـ)، والمخصّص لابن سيدة المرسيّ الأندلسيّ وغير ذلك

ولعلّ أقرب تعريف للحقل الدلالي هو تعريف جورج مونان الذي بيَّن أنه: «مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهومٍ عامٍّ يُحدد الحقل» (أحمد ع.، 2002، صفحة 13)

أمّا فيما يخصّ الحقول الدّلاليّة كنظريّة، فليس هناك قول مرجّح في ذلك وإن كان البعض يرى أنّها نشأت ضمن دراسة "دي سوسير" اللّسانيّة؛ لأنَّ قوله: إنَّ الدليل اللساني يخضع لنوعين من العلاقات:

1- علاقة مبنية على معاييرَ صوريةٍ مثل: كلمة (تعليم) فهي توحي بكلماتٍ أخرى مُشتقة منها، وتنتمي إلى نفسِ المجال الدَّلالي مثل: علم، نعلم.

2- علاقة مبنية على المعايير الدلالية فكلمة تعليم توحي بكلماتٍ أخرى مثل: تربية، تعلُّم، تكوين.

إنَّ العلاقات السابقة لا تُعدُّ مصداقًا لقولِ القائل: «بذلك وضع (سوسير) الإطار العام الذي يمكن أن تُدرس فيه الأدلةُ اللغوية» (الجليل، 2001، صفحة 76)

غير أنّ ما يمكن الجزم به أنّ تطوّر النّظريّة وتبلورها قد تحقق على يد العالم الألماني (ترير) (Trier) الذي صبَّ جهده على مفرداتِ اللغة الألمانية الخاصة بالمعرفة في القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر، وقد جعل المرحلتين موزعتين على حقلين، فوضع في حقل المرحلة الأولى الصفات الجيدة، والصفات غير

الجيدة، وفي حقل المرحلة الثانية جمع الكلمات المرتبطة بالخبرة الدينية، والمعرفة، والفن (بالمر، 1985، صفحة 78)، لكنه لم يستعمل مصطلح الحقول الدلالية، وإنما استعمل بدلاً منه مصطلحات: الحقل المعجمي، الحقل المفهومي، الدائرة المفهومية...، ورأى بعض الباحثين أن سطور(A. Stor) هو أول من استعمل هذا المصطلح (أحمد ع.، 2002، صفحة 11)

1.3 : الحقل التّاريخيّ

يحتل الاستحضار التّاريخيّ في رائيّة ابن عمّار حيّزاً هامّا لكونه معينا لا ينضب، وخزّاناً لمآثر السّابقين، يسوق الشّاعر منه ما يحتاج لإسقاطه كمعادل تاريخيّ يربط أحداث الحاضر بالماضي، سيما وأنّ الشّاعر قد شبّه ليلتهم تلك بتشبيهات معروفة في التّاريخ العربيّ، نسوق بعضاً منها:

فَأَحْبِبْ بِهَا مِنْ لَيْلَةٍ حِمْيَرِيَّةٍ رَشِيدِيّةٍ لَمْ يَحْوِهَا زَمَنٌ غَبَرْ

عَزِيزَةُ حُسْنٍ لاَ عَزِيزَ بِمِثْلِهَا وَمُعْتَصِمٌ يَأْتِي بِمِصْرَ وَلاَ بِسِرْ

وَلاَ اخْتَالَ فِي غِمْدَانَ سَيْفٌ بِمِثْلِهَا وَلاَ نَخْلُ عَبَّادَ بِحِمْصَ بِهَا افْتَخَر

وَلاَ احْتَفَلَ الْمَأْمُون بَعْضَ احْتِفَالِهَا وَلاَ عُرْسُ بُورَانَ عَلَى مِثْلِهَا اتَّزَرْ

ففي هذه الأبيات تشبيهات مستمدّة من التّاريخ، يستعرض فيها الشّاعر بعض المحطّات المعروفة كليالي السّمر في قصور الخلفاء، مثل هارون الرّشيد والمعتصم والمأمون من الخلفاء، وغمدان سيف بن ذي يزن من ملوك اليمن، كما يشير إلى عزيز مصر، ولا شكّ أنّ ابن عمّار لا يستحضر الشّخصيّات لمجرّد الاستحضار، بل لوجود مناسبة حيث كان قصر الرّشيد مسرحاً لمجالس الحكماء والعلماء، وسوقاً لأرباب البلاغة والتّاريخ والأدب والفنون الأخرى، فقد كان في زمنه الأصمعيّ وابن السّمّاك ومعن بن زائدة والكسائيّ وأبو عبيدة معمر بن المثنّى، ناهيك عن طائفة من الشّعراء كأبي نواس وأبي العتاهية،

كما أشار إلى زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل، وكأنّ تلك اللّيلة في قصر الخليفة المذكور لا تساوي شيئاً ممّا عليه أصحاب ابن عمّار في قصر ابن عبد اللّطيف، وهنا تظهر براعة التّصوير لدى ابن عمّار، الذي يوظّف التّاريخ توظيفاً يخدم غرضه في وصف ليلتهم تلك، كيف لا وقد اخترق حدود الزّمان

والمكان ليجوب بنا في ربوع اليمن والأندلس، حيث قصر غمدان الذي يعدّ من عجائب الهندسة بالمعماريّة وقد وصفه الهمذانيّ في الإكليل من أخبار اليمن بقوله: (الهمذانيّ، صفحة 13)

يسمو إلى كبد السّماء عشرين سقفا سمكها لا يقصر

وقصر المعتمد بن عبّاد بإشبيلية، حيث ليلة السّمر رفقة ثلّة من خيرة شعراء الأندلس في ذلك الوقت، وكان المعتمد شاعراً أيضاً، ومن جلسائه ابن زيدون وأبو بكر ابن عمّار، وابن اللّبّانة، فكأنّ ليلة شعراء مدينة الجزائر في قصر ابن عبد اللّطيف قد فاقت كلّ تلك اللّيالي سمراً وبلاغة وبيانا ومنادمة.

وإذا انتقلنا من وصف اللّيلة إلى مدح المضيف، وهو أحد أفراد عائلة عبد اللّطيف نجد براعة ابن عمّار في التّصوير الشّعريّ القائم على الاقتباس التّاريخيّ للشّخصيّات، يقول ابن عمّار: (أحمد ا.، 2015، صفحة 66)

مُحَمَّدُنَا رَاوِي حَدِيثِ مُحَمَّدٍ وَنَاظِمِ ذَاكَ الْعِقْدِ مِنْ بَعْدِ مَا انْتَثَرْ

خَطِيبٌ يَفوق ابْنَ الْخَطِيبِ بَلاَغَةً وَيَخْتَبِسُ البَصْرِيَّ مِنْ وَعْظِهِ الْحَصِرِ

ففي هذين البيتين إشادة بعلم (محمّد بن عبد اللّطيف) وأنّه كان راوية للحديث، بليغاً واعظاً فاق كلًّا من لسان الدّين ابن الخطيب في بلاغته، والحسن البصري في مواعظه، ورغم المبالغة التي نلمسها في القصيدة إلّا أنّ صاحبها كان ذا مقدرة على توظيف التّاريخ بأحداثه وشخصيّاته وإسقاطه على شخصيّة محمّد المذكور، يقول في موضع آخر: (أحمد ا.، 2015، صفحة 67)

لَنَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٍ وَمِنْهُمْ رَشِيدٌ أَوْ بَرَامِكَةٌ غُرَرْ

ففي هذا البيت تشبيه، حيث شبّه محمّد باشا (الذي حكم خمساً وعشرين سنة: من 1766 إلى 1791م، وحسنت سيرته في تعامله مع الرّعيّة) بالخليفة العبّاسيّ هارون الرّشيد (الذي حكم ثلاثاً وعشرين سنة 170 إلى 193 هـ، وحسنت سيرته هو الأخر) كما شبّه الممدوحين وهم آل عبد اللّطيف بالبرامكة، رغم أنّ الشّاعر هنا يقصد ما قبل النّكبة المشهورة لا ما بعدها.

وهناك استحضار تاريخيّ آخر له مغزاه، حيث يشبّه الوزير أحمد بن عبد اللّطيف (وهو أخو السّابق) بالمعتمد بن عبّاد، كما يشبّه نفسه بالوزير أبي بكر بن عمّار: (أحمد ا.، 2015، صفحة 69)

أَسَاءَ الذِي قَالَ ابنُ عَبَّادَ انْطَوَى عَلَيْهِ الرَّدَى أو شَاد مَهر [كذا] قَدِ انْتَشَرْ

وَأَنَّ ابْنَ عَمَّارَ تَطَوَّقَ بَطْشَهُ وَصَوَّغَهُ كَأْسَ الرَّدَى بَدَلَ السِّكَر

فَهَا أَنْتَ وَالْقَصْرُ الرَّفِيعَ وَهَا أَنَا لِوَاءُ ثَنَائِي فَوْقَ هَامَتِكَ انْتَشَرْ

2.3 الحقل السّياسي والعسكريّ

في رائيّة ابن عمّار حديث عن بطولات آل عبد اللّطيف العسكريّة، ومآثرهم السّياسيّة، وأنّهم ذوو فضل في إقامة حكم عادل، رغم أنّنا نشمّ رائحة المبالغة، لأنّ الحكم في الجزائر كان بيد الأوجاق، كما أنّ الانكشاريّة كانت مسيطرة على الوضع العسكريّ في البلاد، وعلى العموم فإنّ ما يهمّنا هنا هو بلاغة التّوظيف للمعجمين السّياسي والعسكريّ في قصيدته توظيفاً يخدم المناسبة التي قيلت فيها القصيدة، يقول: (أحمد ا.، 2015، صفحة 66)

كَجُودِ بَنِي عَبْدِ اللَّطِيفِ إِذَا هَمَى فَمَا أَنْ يُقَاسَ بِالْجَدَاوِلِ وَالنَّهَرْ

بُدُورٌ لُيُوثُ بَهْجَةٍ وَمَهَابَةٍ رِيَاض حِيَاض نَفْحَة وَنَدَا الْعُمُرْ

هُمْ أَوْثَقُوا لِلْمَجْدِ أَوْثَقَ عُرْوَةٍ كَمَا فَجَّرُوا لِلْجُودِ بَحْراً بِهِمْ زَخَرْ

فالشّاعر هنا يشبّه آل عبد اللّطيف بالبدور والأسود، وهما تشبيهان مستهلكان يشيران إلى الضّياء والشّجاعة، كما أنّ البيت الأوّل لا يعدو أن يكون داخلاً في السّياق المدحيّ للقصيدة، لأنّه هو الآخر تشبيه مستهلك، وقد ذكرنا الأبيات الثّلاثة كونها مقدّمة لذكر الدّور العسكريّ لآل عبد اللّطيف، وذلك في قوله: (أحمد ا.، 2015، صفحة 67)

إِذَا اقْتَحَمُوا الْهَيْجَاءَ خِلْتَ صُدُورَهُمْ لِسُمْرِ الْقَنَا الأَتْرَاس وَالْمِغْفَرَ الْغُرَرْ

قُلُوبٌ كَصَمِّ الصَّخْرِ تَقْتَحِمُ الْوَغَى وَإِنْ شَاهَدُوا الْمِسْكِينَ فَهْيَ صِبَا سَحَرْ

إِذَا جَنَّ لَيْلُ النَّقْعِ وَاشْتَجَرَ الْقَنَا تَجْلُو بُدُوراً تَمْحَقُ اللَّيْلَ وَالسَّمَرْ

وليس الغرض هنا ذكر جميع الأبيات التي حوت كلمات من المعجم العسكرّي والسّياسيّ، لذا يمكن ذكر أمثلة من المعجمين حسب ورودها في القصيدة كما يلي:

المعجم العسكريّ: الهيجاء – الطّعن – الضّرب – الأرواح – القنا – الوغى – الأسنّة – قتيل – طعين – سعرت – نار الوغى – سيوف – الكتائب – عيون العدا – خطر – معرك – الدّماء

المعجم السّياسيّ: الملك – المجد – الفضل – العلى – الوزير – مجلس – القصر الرّفيع.

3.3 حقل الصّفات والألقاب

ما نلمسه في قصيدة ابن عمّار، هو تعداد بعض صفات التّجلّة والاحترام لأفراد عائلة عبد اللّطيف، وهو صادق في ذلك لأنّ بعض أفراد هذه العائلة قد وصلوا إلى بعض المراتب السّياسيّة والدّينيّة، رغم شحّ المصادر التي تتحدث عنهم، من ذلك مثلاً ما ذكره بخصوص الحاج أحمد الزّرّوق بن محيي الدّين بن عبد اللّطيف، الذي تولّى الفتوى والتّدريس والخطابة على المذهب المالكيّ سنة 1153هـ خلفاً لمحمّد بن نيقرو، وبقي في منصبه إلى سنة 1169هـ، وقد ذكره ابن حمادوش في رحلته (الرزاق، 2005، صفحة 122)

أمّا ابن عمّار فقد مدحه بقوله: (أحمد ا.، 2015، الصفحات 67-68)

خُصُوصاً سَرِيُّ الْوَقْتِ زَرُّوقُنَا الذِي بِهِ ذُرَّتِ الْأَرْزَاقُ وَانْسَكَبَ الْمَطَرْ

إِمَامُ الْهُدَى مُفْتِي الْأَنَامِ وَشَيْخُهُمْ فَتَى الرَّأْيِ والتَّدْبِيرِ وَالْعِلْمِ وَالنَّظَرْ

سَرِيٌّ سَنِيٌّ مَاجِدٌ مُتَفَضِّلٌ زَكِيٌّ فَلَا يَعْرُوهُ جُبْنٌ وَلَا خُوَرْ

كما يمدح يصف شخصيّة أبي زيد عبد الرّحمن بن عبد اللّطيف ويصفه بكاتب السّرّ في قوله: (أحمد ا.، 2015، صفحة 68)

كَمَا فَضَحَتْ دُرُّ الْقَلَائِدِ صَفْحَةً وَشَتْهَا بَنَانُ الْكَاتِبِ السِّرِّ أَنْ نَثَرْ

أَبِي زَيْدٍ الْمَطْبُوعِ أَبْلَغ كَاتِبٍ تَصَدّرَ لِلتَرْسِيلِ أَوْ شَاعِرٌ شَعَرْ

فَتَى أَلِفَ الْعَلْيَاءَ وَاتّلَقَ النَّدَى فَرِدْ مِنْهُ عِنْدَ النَّائِبَاتِ عَلَى وَزَرْ

كما مدح شخصيّة محمود بن عبد اللّطيف، الذي كان متولّياً وظيفة القضاء، وشبّهه في قوّة علمه بالإمام أبي حنيفة النّعمان:(أحمد ا.، 2015، الصفحات 68-69)

كَمَحْمُودِهِمْ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي الثَّنَا تَوَطّى عَلَى مَتْنِ الْقَضَاءِ لَهُ الْمَقَرْ

سَرِيٌّ سَرَى نَحْوَ الْعُلَا يَبْتَغِي المنَا [كذا] وَأَسْهَرَ طَرْفَ الْحَزْمِ كَيْ يَبْلُغَ الْوَطَرْ

فَقِيهٌ إِذَا مَا الْخَصْمُ حَاوَلَ فَصْلَهُ تَرَاءَى لَهُ النُّعْمانُ فِي الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ

فالأبيات السّابقة تشير إلى بعض الأوصاف التي ذكرها ابن عمّار لأفراد من عائلة ابن عبد اللّطيف، ويمكن أن نضيف إليها ما يلي (حسب ما جاء في القصيدة):

معجم الصّفات: أديب – أريب – بارع – متفضّل – سراة – تقاة – فاضلون – أعزّة – محروس الجناب – مقدّس – بحر تدفّق – فكر وقّاد – أسود ...

معجم الألقاب: خطيب – إمام الهدى – مفتي الأنام – قاضي القضاة – وزير العصر – محروس الجناب.

4. خاتمة:

هذه بعض الصّور الشّعريّة والحقول الدّلاليّة التي قمنا باستخراجها من قصيدة المفتي المالكي ابن عمّار الجزائريّ، الذي يعد من رواد المدرسة الأندلسيّة بالجزائر في القرن الثّاني عشر الهجريّ الثّامن عشر الميلاديّ، وقد وصف لنا في رائيته تلك اللّيلة التي قضوها في فيلا عبد اللّطيف بمدينة الجزائر، وقد جادت قريحته بالأبيات الثّمانية والأربعين، التي استطاع بها تخليد الحادثة، ومدح بعض أفراد العائلة المذكورة بأسلوب بليغ ليس فيه تكلّف، رغم بعض المبالغة التي نشتمّ رائحتها بين الفينة والأخرى، ومن النّقاط التي أمكننا الخروج بها ما يلي:

- استطاع ابن عمّار توظيف الحقول المعجميّة التي تخدم الغرض الوصفي والمدحي للقصيدة.

لغة الشّاعر قويّة جزلة لا تكلّف فيها إلّا في القليل، مع بعض المبالغة في الوصف.

- قام المفتي ابن عمّار بالعزف على أنغام التّاريخ في وصفه لليلة السّمر، وما جرى فيها وفقة بعض أفراد عائلة ابن عبد اللّطيف.

- في القصيدة العديد من المصطلحات والألفاظ ذات الدّلالات والإيحاءات التي تصبّ في خانة المدح، ومن بينها المعجم التّاريخيّ ومعجم الأوصاف والألقاب إضافة إلى المعجمين العسكريّ والسّياسيّ.

5. قائمة المراجع:

ابن حمادوش، عبد الرزاق. *لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال* (تح: أبو القاسم سعد الله) الجزائر: عالم المعرفة. 2005

ابن عمار، أحمد. *مختارات مجهولة من الشعر العربي، عالم المعرفة* (المجلد طبعة خاصة). (تح: أبو القاسم سعد الله) الجزائر. 2015

ابن عمار، أحمد. *نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب*. (تح: محمد بن أبي شنب) الجزائر: مطبعة فونتانة. 1902

أبو راس الجزائري محمد. (د.ت). *فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته* (المجلد د.ط). (تح: محمد بن عبد الكريم) المؤسسة الوطنية للكتاب.

الحسن بن أحمد ابن الحائك الهمذانيّ. (د.ت). *الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير*. (نبيه أمين فارس، المحرر) بيروت، صنعاء: دار العودة، دار الكلمة.

بالمر. *علم الدلالة*. (محمد عبد الحليم الماشطة، المترجمون) بغداد: جامعة المستنصرية، 1985.

سعد الله أبو القاسم. *تاريخ الجزائر الثقافي* (المجلد 1). بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1998

عبد الله، محمد حسن. *الصورة والبناء الشعري*. القاهرة: دار المعارف. 1981

عزوز أحمد. *أصول تراثية في نظريّة الحقول الدّلاليّة*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. 2002

كمال أبو ديب. *جدلية الخفاء والتجلي* (المجلد 4). بيروت: دار العلم للملايين. 1995

المرزوقي، أحمد بن محمّد. *شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام* (المجلد 1). (تر: غريد الشّيخ) بيروت: دار الكتب العلميّة. 2002

منقور عبد الجليل، *علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التّراث العربيّ*. دمشق: اتّحاد الكتّاب العرب. 2001

هلال، محمّد غنيمي. *النّقد الأدبي الحديث*. القاهرة: دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع. 1997

الورثيلاني، الحسين. *نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار*. (تحقيق محمد بن أبي شنب، المحرر) الجزائر: مطبعة بيير فونتانا. 1908